كمال عبد الجواد ... اللامنتمي

بقلم ماهر حسن البطوطي

« ... انه من المستحسن دائما ان يتأمل الانسان ما يراود نفسه من احلام ، على ذلك فالتصوف هروب ، كما ان الايمان السلبي بالعلم هروب ، واذن فلا بد من عمل، ولا بد للعمل من ايمان ، والمسألة هي كيف نخلق لانفسنا ايمانا جديدا بالحياة » (١) .

هذه الرغبة في ايجاد هدف يربط الانسان نفسه اليه ويسعى الى تحقيقه هي ما تعطي للحياة شكلا ومعنى ، وهي كل ما يسعى اليه من وجد نفسه في الموقف الذي يقف فيه كل لا منتم . واللاحتمية ليست مذهبا من المذاهب الموضوعة كالوجودية او الرومانسية مثلا ، فليست هناك قوانين تحددها وتعرفها ، انما هي سلوك ينتهجه المرء نتيجةلتجارب مر بها او لمشكلات عانى منها . فهذه التجارب وهذه المشكلات تصوغ اتجاهه وموقفه صياغة جديدة ، وتكشف عن اتجاهات اخرى يجد نفسه فيها مدفوعا الى انتهاج مسلك معين في حياته . وعلى ذلك فاللامنتمي لا يولد لامنتميا ، بل تدفعه ظروف ومحيط حياته الذي يعيش فيه الى ان يتأمل داخل نفسه وفي طبيعة الاشياء التي تحوطه ، حتى ينتهيالى هذا الموقف الذي يتخذه تجاه الحياة عامة . وليس هناك من سببواحد، ولا حتى سبب رئيسي ، يكون هو المسؤول عن اندفاع أي امرىء في هذا التيار ، انما هي عدة عواملمختلفة تتجمع في سبيل ذلك ، معقدة تعقيد النفس التي تصادفها ، وعميقة عمقها . فاذا ذكرنا هنا عدة أسباب من هذه العوامل ، او تناولنا شخصية اللامنتمي من عدة جوانب مختلفة، فان ذلك لا يعني ان هذه هي كل الاسباب والجوانب .

فهناك كما ذكرنا هذه الحاجة الطبيعية التي يشعر كل فرد حي بضرورة وجودها ، وهي ان يجد شيئا يرتبط به ، وهذه الرغبة تستمد فعاليتها وقوتها من وجود الانسان في حياة لا يدري كنهها ولا يعرف سببا لوجوده فيها . وفي هذه اللاشيئية المميتة تنزع النفس الى ايجاد علة لذلك الخلق ، فيهب الفرد نفسه الى شيء ما يكرس وجوده من اجله ، ويربط نفسه به برباط قوي مشدود ، ويجد فيه حياته والسبب الذي خلق من اجله . وهو يشير في هذه الحالة بوجود قوانين تحكم الحياة والناس ، فيخضع لها ويكيف سلوكه تمشيا معها ، ويصبح منتميا متفقا مع البيئة التي يعيش فيها . وهذا الشيء الذي ينتسب اليه الانسان ليس محددا مقصورا ، بل قد يكون أي شيء . فقد يكونالعمل، وقد يكون مبدأ من المبادىء أو فكرة من الافكار ، الى ما شابه ذلك من الاشياء .

ولكن ذلك الاتفاق لا يحدث على الدوام ، فقد لا يجد المرء ما ينتسب اليه منذ البداية، او قد يفقد « شعوره بالانتماء » الى شيء ما، وهنا تكون نقطة التحول المركزية التي تطوح بشعور الاستقرار الذييحسه الفرد العادي ، ويدخل في مرحلة صراع – اما داخلي مع نفسه واما خارجي مع المجتمع ، ويتخذ الصراع الداخلي شكلا هادئا مترسبا في النفس وهو ما يحدث في حالة كمال عبد الجواد في ثلاثية نجيب محفوظ ، اما الصراع الخارجي فله شكل ثائر يتمثل في الخروج على القانون او اثارة الشغب. وقد عبر « يوجين اونيل » (٢) عن هذه الحالة تمام التعبير فيمسرحيته«القرد الكثيفالشعر»The Hairy Ape حين صور عاملا من عمال تشغيل السفن ، سعيدا بعمله الذي يحبه ، حتى يخرجه عن هذا الشعور تعليق قالته ابنة صاحب السفينة التي يعمل عليها ، فيحتقر عمله من جراء ذلك ، ويفقد شعوره بالانتماء ويبدأ في مواجهة سلسلة من المتاعب لمحاولته التهجم على الناس ، ثم يحاول ربط نفسه باحدى الجماعات فيفشل في ذلك وفي كل شيء يحاول ان يشد نفسه اليه . وينتهي الامر بان تقتله احدى الغوريلات الضخمة حين يحاول ان ينشىء صداقة معها ، كآخر شيء يأمل في الانتساب اليه بحكم الاصل الواحد الذي قال « داروين » به.

وهذه الظاهرة – ظاهرة الانتساب الى شيء – هي من أهم العوامل التي حددت شخصية كمال . وهي ترتبط عنده بظاهرة اخرى ، هيفقدان الايمان بمثل كان يقدرها حق قدرها . فكانت اول صدمة يتلقاها فيما يتصل بذلك ما حدث له حين اكتشف في مطلع حياته ان مسجد الحسين لا يحوي جسد ابن الخليفة علي ، على مثل ما كان يعتقد سابقا ، وتركه ذلك الاكتشاف في خلاء روحيوألم عميق ، غير ان تلك الحادثة لم تكن سوى ارهاص بما سوف يصادفه بعد ذلك ، حين ربط نفسه بحبعايدة شداد .

والحديث عن علاقة كمال بعايدة يستلزم عناية اكثر في معالجته. وأحب ان انفي منذ البداية فكرة لا بد وان تجول في ذهن كل من يقرأ الرواية ، وهي ان هذا الحب ان هو الا حب رومانسي من الذي نمر به فيه ومتابعة آثاره التي نجمت عنه تتبين خطل هذه الفكرة . وكمال نفسه في فترة صبانا الذي سرعان ما يخبو غير مخلف وراءه شيئا ، فبالتأمل يقول بعد ذلك وقد حفرت تجربته اثارها الهائلة في روحه : « واحذر ان تسخر من احلام الشباب فما السخرية منها الا عارض من اعراض مرض الشيخوخة يدعوه المرضى بالحكمة » (٣) . فحب كمال كان السبب المباشر الذي رمى به في شعوره بالغربة عن العالم وعن الحياة، وكان المثل الذي آمن به فأورده في النهاية الى ان اصبح كافرا بكل المثل الموجودة والتي لم توجد ، وكان دينه الذي انتهى به الى الالحاد. فحب كهذا الحب لم يكن عاديا مألوفا كالذي نشاهده او نسمع به ، بل كان وجودا بأكمله وحياة قائمة بذاتها . فبغير هذا الحب لم يكن كمال يشعر بأن له وجودا او كيانا ، فاذا انمحى هذا الحب فقد احساسه بالوجود ، وهو ما يحدث بالفعل . ويذكرنا ذلك بعطيل شكسبير حين يقول عن حبه لديزدمونة :

« انني أحبك حتى لو هلكت روحي
فاذا ضاع هذا الحب يوما
عاد الفراغ والسديم ثانية الى حياتي » (٤) .

ويتأكد لدينا هذا المعنى حين نتأمل قليلا مظاهر هذا الحب في تفاصيله الدقيقة . فعايدة هي التي أضاءت حياة كمال وفتحت روحه على افاق لا تحد . وقد قال لها مرة في حديث له معها حين كاشفها بشعوره نحوها وهما سائران في طريق العباسية بعد مرور مدة لم يرها فيها : « اقنعتني هذه التجربة القاسية بأنه اذا كان مقدورا عليانتختفي من حياتي فمن الحكمة ان أبحث لي عن حياة أخرى » (٥) . وهي كانت،

(١) السكرية فصل ٥٤ ص ٣٩١ .

(٢) كاتب مسرحي أمريكي توفي عام ١٩٥٣ ، وحائز على جائزة نوبل للاداب .

(٣) قصر الشوق . فصل ٤٠ ص ٤٢٧ .

(٤) عطيل لشكسبير الفصل الثالث المنظر الثالث ، سطر ٩٠ – ٩٢.

(٥) قصر الشوق فصل ٢٣ ص ٢٧٩ .

اولا واخيرا ، « معبودته » ، وقال بعد فراقه عنها : « ولكن آين يمضي الشعور الباهر الرائع الذي نور قلبه اربعة اعوام ، لم يكن وهما ولا صدى لوهم ، انه حياة الحياة ،ولئن تسيطر الظروف على هذا الجسد فأي قوة تستطيع ان تتطاول على الروح ، وهكذا لتبقين المعبودة معبودته والحب عذابه وملاذه ، والحيرة ملهاته ، حتى يقف امام الخالق يوما يسائله عما حيره من معضلات الامور » (٦)

وكانت عايدة المثال الذي أقامه في نفسه للجمال والكمال، حتى انه لم يصدق انها بشر تسري عليها القوانين الطبيعية كالحب والزواج والولادة :

« واقلباه ! أيليق هذا العبث بالمعالي ! ، أيحسب الشرير انالمعبودة تحبل وتتوحم وتنداح بطنها وتتكور ثم يجيئها المخاض فتلد ! » (٧).

ثم يقول في حفل زفافها الى حسنسليم : « ان المعبودةنفسها نزلت من علياء السماء لتقترن بواحد من البشر ، ليتفتت قلبك حتى يعجزك لمّ أجزائه المتناثرة » (٨) . وكانالحب هو حياته حتى انه كان يؤرخ كل شيء به ، فكان يقول انهذا حدث ق. ح أو ب. ح. أي قبل الحب وبعد الحب .

وقد أدى هذا الحب الذي دعم به كمال حياته ووجد فيه كيانه الى كونه منتميا مثاليا ، فنجده متفقا مع بيئته التي يحيا فيها تمام الاتفاق ، فهو متحمس أبدا لمبادئه السياسية ولامال رفاقه من أبناء الشعب لنصرة قضية بلاده ، ونشعر نحن القراء بحرارة ايمانه بذلك ، على عكس ما يحدث منه في « السكرية » فهو يناقش ويحضر الاجتماعات ولكنا نستبطن انها مجرد مشاركة سلبية ، ليست لها الحرارة التي كان ينفثها كمال فيها سابقا . وهو مؤمن بالقوانين الوضعية والسماوية، مؤمن بدينه ايمانا لا حد له ، حتى انه يأبى ان يشرب البيرة أو يأكل لحم الخنزير حتى ولو كانمن يقدمهما اليه عايدة شداد نفسها ، وهو لا يرضى ان يرافق صديقه فؤاد الحمزاوي لمقابلةقمر ونرجس صديقتيهما القديمتين ، ويُرجع ذلك السلوك الى أسس دينية ومثالية . وهو بلا شك سعيد بهذا الانتماء وهذا التوافق ، بغض النظر عن انه يحب حبا منطرف واحد او بدون نتيجة ترجى .

ولكن هذا الانتماء لم يكن مقدرا له ان يدوم ، فكما خيب ضريح الحسين امله ، خيبته عايدة شداد كذلك ، فأفاق يوما على زواجها من حسن سليم صديق الجماعة . ومع انه لم يطمع يوما في الزواج منها فان ذلك لا يمنع أنها قد فارقته فعلا ولم يعد يراها ، وليس له ان يفكر في حبه لها بعد ذلك. اما التأثير الذي جاء به غياب عايدة في نفس كمال فلم يحدث بغتة او بين يوم وليلة ، بل بدأ ألما هائلا اجتاح روحه وظل يترسب في قاعها ثم انسحب على حياته كلها بعد ذلك . انظر الى مدار أفكاره حال سماعه خبر خطبة عايده : « وراح يستجدي نفسه أقصى ما لديها من قوة ليستر جرحه الدامي عن العيون اليواقظ وليتفادى من مواضع الهزء والزراية ، تجلدي يا نفسي وانا أعدك بأن نعود الى هذا كله فيما بعد ، بأن نتألم معا حتى نهلك ، وبأن نفكر في كل شيء حتى نجن ، ما أمتع هذا الموعد في هدأة الليل حيث لا عين ترى ولا أذن تسمع ، حيث يباح الالم والهذيان والدموع دون زراية زار او لومة لائم ، وثمة البئر القديمة أزح عن فوهتها الغطاء واصرخ فيها مخاطبا الشياطين ومناجيا الدموع المتجمعة في جوف الارض من آعين المحزونين، لا تستسلم ، حذار ، فالدنيا تبدو لناظريك حمراء كعين الجحيم » (٩) . ذلك كان الاثر المباشر ، الحزن والذهول الذي يفرق الحواس ، ثم يجيء وعيه بموقفه الحالي بعدما حدث ـ بعد زوال أو ابتعاد من كان ينتمي اليهم ، وهو بداية تضعضع حياته الهادئة ، حياته كمنتم ، ونهاية لها: « عايدة وحسين في اوروبا ! ، انسان يفقد في ساعة واحدة حبيبه وصديقه ، تفتقد روحك معبودها فلا تجده ويفتقد عقلك أليفه فلا يجده، وفي الحي العتيق تعيش وحيدا مهجورا كأنك صدى حنين هائم منذ أجيال ، تأمل الالام التي ترصدك ، آن لك أن تحصد ثمار ما زرعت من أحلام في قلبك الغر ، توسل الى الله ان يجعل الدموع دواء للاحزان، وعلق انااستطعت جسمك بحبال المشانق أو ضعه على رآس قوة مدمرة تنقض بها على العدو ، غدا تلقى روحك خلاء كما لقيت بالامس ضريح الحسينيا خيبة الامال » (١٠) .

وينهار الصنم الذي أقامه في قلبه لمعبودته بعد زواجها ، وقد وضعه هذا الزواج أمام الحقائق التي كان يتجاهلها ، فعايدة بشر عادي تخضع للشوق والحب والزواج والولادة ، وسائر القوانين التي تسري على غيرها . ويزيد في ذلك ما قاله صديقه اسماعيل لطيف من آن عايدة قد استغلت حب كمال لها للاسراع في الظفر بحسن سليم زوجا لها، فهبط الصنم من علياء سمائه وتمرغ في الوحل « بعد حياة عريضة فوق السحاب » . وانتهى الامر بكمال الى القول : « لم آعد من سكان هذا الكوكب ، غريب أنا وينبغي ان احيا حياة الغرباء » (١١) وبات يتحدثعن العالم الغاني وآماله الخاوية وأحلامه الطائشة .

ومنحه الالم العميق الذي جلبه عليه تجربته الغريبةفي حب عايدة انعاما للنظر في الامور لا يتأتى للشخص العادي ، وانعكس تفكيره في حبه على تفكيره في كل الاشياء . ولكن الاثر الرئيسي الذي عاد عليه من تحطم حبه بعد زواج عايدة هو فقدانه الايمان بالحب ، وهو ما كان يعتقده من أسمى المثل والقيم في الحياة ، ففقد ايمانه بالحياة تبعا لذلك ، وصار يتناول كل ما يعن له من الافكار بالبحث والتحليل،والتهب فؤاده بالشك في كل شيء ، فصار المؤمن القديم الذي ما كان يرضى لاحد ان يتعرض للدين بشيء ، ملحدا ناكرا للدين ، ولا عجب في ذلك: ألم تكن عايدة هي دينه ؟! وانعكس ذلك على بقية سلوكه ، فشرب الخمر وهو الذي لم يرض أن يتذوق البيرة سابقا ، وغشى دور الدعارة مع ياسين أخوه الاكبر بعد ان عافت نفسه قبل ذلك ما كان يفعله مع قمر ونرجس .

ولكن هذه الاشياء ـ الخمر والنساء ـ تخذله كما خذلته عايدهمن قبل ، ولا يجد فيها أي حقيقة يمكن أن تريحه في هذا الكون الزائف : « أين ذهبت نشوة الخمر الساحرة ؟ وما هذا الكرب الخانق الذي حل محلها ؟ ما أشبهه بخيبة الحب التي ورثت أحلامه السماوية » (١٢) ويتلفت حوله في حيرة بالغة باحثا عن الطريق ، عن الحقيقة ، وهي الحيرة الحقة التي يتسم بها كل لا منتم اصيل .

تكشفت له جميع الاشياء عن وهم كبير ، مسجد الحسين ـ حبه العظيم ـ الدين ـ الخمر الجنس ، فلم يجد في آي من هؤلاء تفسيرا للذي ينشده . حتى أبوه الذي ظهر له قبل ذلك عظيما قويا جبارا، تكشف له في آخر الامر عن رجل عادي غارق لاذنيه في الخمر والمرح مع العوالم والراقصات : « هذه القوة الجبارة التي يخافها كل الخوف، يخافها ويحبها معا ، ما كنهها ؟ ليس الا رجلا لولا مرحه الذي خص به الغرباء لم يكن شيئا ، فكيف يخافه ؟ وحتى متى يذعن لقوة هذا الخوف ؟ انه وهم كسائر الاوهام التي امتحن بها » (١٣) ويعصف به الفكر حتى انه يردد : « تأمل هذه العجائب ، أنت وياسين تتشاربان ! أبوك شيخ ماجن ! هل ثمة حقيقي وغير حقيقي ؟! ما علاقة الواقع بما في رؤوسنا ، ما قيمة التاريخ ؟ ، ما العلاقة بين عايدة المعبودة وعايدة الحبلى ؟ ، أنا نفسي ما انا ، لماذا تألمت لذلك ، الالم الوحشي الذيلم أبرأ منه بعد ؟ اضحك حتى تنفق » (١٤) . ويذكرنا قوله عن علاقةالواقع بما في رؤوسنا بما قاله أمير المترددين في مسرحية شكسبير :

(٦) قصر الشوق فصل ٣١ ص ٣٥٦ .
(٧) قصر الشوق فصل ٢٤ ص ٢٨٩ .
(٨) قصر الشوق فصل ٣١ ص ٣٤٢ .
(٩) قصر الشوق فصل ٢٤ ص ٢٨٦ .
(١٠) قصر الشوق فصل ٢٤ ص ٢٩٠ .
(١١) قصر الشوق فصل ٣١ ص ٣٥٥ .
(١٢) قصر الشوق فصل ٣٧ ص ٤١٠ .
(١٣) قصر الشوق فصل ٣٧ ص ٤١٠ .
(١٤) قصر الشوق فصل ٣٦ ص ٤٠١ .

« ليس هناك شيء طيب وشيء سيء .
ولكن تفكيرنا هو الذي يجعله كذلك » .

وهكذا تكاثفت كل هذه العوامل تدريجيا حتى انتهى بها الامر الى التبلور في نفسية كمال ويتبلور تبعا لها الموقف الذي اتخذه تجـــاه الحياة . ويظهر لنا ذلك التبلور في الفصل الاربعين من «قصر الشوق»، الذي أعتبره قمة للتحول وبداية لحياة كمال الجديدة كلامنتم، كفـريب عن الحياة وعن البيئة وعن كل شيء . وجميع الذين كتبوا عن اللامنتمية او اللامنتمين يذكرون لحظات كهذه التي مرت في هذا الفصل-ويسمونها لحظات الادراك - حين يقف المرء وحيدا وقد اكتملت في نفسه ادراك حقيقتها الفعلية أو تكشفت لها حقائق جديدة . فقد بدأ كمال يبحث في أمر وجوده في هذه الدنيا وعن الغاية من هذا الوجود وقد اصطبغـت نظرته بالمادية الصرفة ، وهي نهاية طبيعية للذي فقد ايمانه بكل الاشياء والقيم . وتتكشف له الحقيقة الكبرى التي تشكل الفكرة اللامنتمية وتشغل بال اللامنتمي وجميع من كتبوا عن هذا السلوك ، وهي الادراك الـذاتي بعدم وجود أية غاية من وجودنا أو ورائه ، وان وجود هذا العالم ووجود البشر فيه ما هو الا مخض صدفة، وما وجود الفرد نفسه في الحيـــاة الا صدفة أيضا . وقد عرّف « كولن ولسون » الكاتب الانجليزي المعروف، عرف اللامنتمي بقوله : « انه الانسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحيـاة الانسانية من أساس واه ، والذي يشعر بأن الاضطراب والفوضى همـــا أعمق تجذرا من النظام الذي يؤمن به قومه » (١٥) . فيصحو المرء فجأة على هذه الحقيقة الرهيبة وهو الذي اطمأن الى قول من سبقوه ان الانسان ما هو الا مركز الكون الذي لم يخلق الا من اجله وانه - أي الانسان - قد خلق خلقا خاصا لغاية سامية عظيمة . يصحو المـرء على هذه الحقائق كما صحا كمال عبد الجواد في نهاية « قصـــر الشوق » فيشعر بتفاهة الحياة عموما وتفاهة الانسان الذاتية على وجه الخصوص. وملأت هذه الافكار رأس كمال : « وعن الصفوة المختارة من أبناء السمـاء فقد رفعوا الارض الى مركز الكون وجعلوا الملائكة تسجد للطين حتى جاء أخوهم كوبرنيكس فأنزل الارض بحيث أنزلها الكون جارية صغيرة للشمس، ثم تلاه أخوه داروين فهتك سر الامير الزائف واعلن على الملأ أن ابـــاه الحقيقي هو حبيس قفص الذي يدعو الاصدقاء للتفرج عليه في الاعياد والمواسم » (١٦) .

بهذه المرحلة اذن بدأت حياة كمال كلامنتم ، هذه الحيـــاة التي عرضها لنا نجيب محفوظ في القسم الثالث من الرواية «السكرية» ، فنجده وقد فصل نفسه عن احداث الحياة اليومية التافهة ، وانعزل ، في محيط قراءاته وافكاره ، ملتمسا - مثل كل من أفاق على حقيقـة الحياة والوجود ، كل لا منتم - حلا ومنفذا يهرب فيه من هذه التفاهـــة واللاغائية : « هذه السويعات الموهوبة للفلسفة التي تمتد حتى منتصف الليل هي أسعد أوقات يومه ، وهي التي يشعر فيها على حد تعبيره بأنه انسان ، أما بقية اليوم الذي ينقضي في عمله كمدرس بمدرسة السلحدار الابتدائية او في اشباع شتى مطالب الحياة الضرورية فمداره الحيوان الكامن فيه ، المستهدف أبدا تأمين ذاته وتحقيق شهواته » (١٧) . وهـو قد رغب عن الزواج لان الزواج في نظره يمثل نوعا من الثبات الـــذي قد يقضي على حريته التي هي كل رأسماله في طريقه المضني للبحـث عن الحقيقة ، « ثم أنه حائر يداخله الشك في كل شيء والزواج نـــوع من الايمان ، » فكيف اذن يندرج في قائمة المؤمنين وهو الذي وهب حياته للبحث عن حقيقة الحياة والتي تتطلب الشك في كل شيء ؟!

واستعان نجيب محفوظ في روايته بوسيلة أدبية استخدمها شكسبير في جميع مسرحياته لمساندة رسم الشخصية واظهار بعض الصفات فيها بطريقة واضحة ، وهي طريقة الاضداد Foils ، فقدم لنا شخصيـة اسماعيل لطيف ليزيد في اظهار شخصية كمال كما أرادها ، تماما كمـا يضع الرسام اللون الاسود في مهاد لوحته ليبرز اللون الاحمر مثلا الذي استعان به فيها . فنرى اسماعيل لطيف وقد تزوج وأنجب الاطفال، ولم يعد فكره مشغولا سوى بزوجته وأطفاله وأخبار الدرجات والعـلاوات ، وهي الحياة التي ينفر منها كمال ويود الهرب منها بأي سبيل ، فهو على نقيض اسماعيل تماما ، فقد قادته الغربة التي ارتمى فيها الى الصورة الحقة للامنتمي الذي قال عنه « باربوس » ، « انه الشخص الذي يرى أعمق وأكثر مما يجب » .فكمال لا تروق هذه السطحية الالية التي يحياها من حوله ، بل يطمح الى حياة أخرى حقيقية، وهو لا يكف -ككل لامنتم- عن الملاحظة والتأمل واعمال الفكر في كل صغيرة وكبيرة أمامه ، ولا ينى يحلل أي شيء يصادفه حتى لو كان ذلك مناسبة موت أعز شخص لديه: « وخجل من نفسه اذ نزعت لحظات الى تحليل الموقف ودراسته ، كـأن احتضار ابيه يجوز ان يكون زادا لتأمله ومادة لمعرفته » (١٨) . وهـكذا كان دأبه دائما ، كما يظهر لنا من أحاديث نفسه التي يقدمها لنا المؤلـف كل حين في براعة فنية تذكرنا بتيار الوعي عند جيمس جويس وزملائه.

ثم تصادف كمال تجربة اخرى عميقة ، فان حياته الغريبة كلامنتم يبحث عن سبب او هدف يرجع له وجوده في الدنيا لا تخلو من بريـق لمثل هذا الامل ، وقد تمثل له في شخصيته بدور شداد ، فقد خيل اليه أنها احياء للفكرة او للحب الذي شده قديما الى الحياة ، واعتقد انهـــا ستكون خلاصه ، وانها الحل المناسب للحالة التي وجد نفســـه فيها . « ولكنه ما ان رأى بارقة نور في ظلمة حياته الداكنة حتى انطلق يتمسته وهو لا يلوي على شيء مدفوعا بقوى هائلة من اليأس والاشواق والامـل، غير مبال بما قد يعثر به في طريق محفوف بالتزمت والتقاليد مـــن ناحية ، وبالشباب المتوثب للسخرية من ناحية اخرى » (١٩) . فهـــو يندفع في الطريق اليها ، ناشدا خلاصه ونجاته من بحر الحيرة العميق الذي غرق فيه ، غير انه يفشل في النهاية في تحقيق أي نتيجة ايجابية في علاقته مع بدور ، ولا يرجع هذا الى قصور ذاتي في نفســـه أو في وسائله - فهو كما قال لو أراد الزواج من هذه الفتاة ما اعترضه عائـق جدي - ولكنه يرجع الى ادراكه العميق المستكن فيه بأن لا حل هنـاك لهذا الموجود غير المبرر ، واذا كان هذا الزواج لن يقدم له ماينشده من هذا الحل ، فانه سيرمي به فوق ذلك الى نمط من الحياة هو الموت ذاته بالنسبة اليه ، حياة الزواج والاسرة والاطفال والانهماك الكلي في السعي وراء الرزق وترك جهاده الازلي في البحث عن الحقيقة .

وجميع الذين كتبوا عن اللامنتمي أو بحثوا مشكلاته ، لم ينته أي منهم الى حل لهذه المشكلات أو هذه الحياة ، وهذا أيضا ما تبينه الحياة

(١٥) مقدمة الطبعة العاشرة لكتاب اللامنتمي سنة ١٩٥٦، ترجمة أنيس زكي حسن .
(١٦) قصر الشوق فصل ٤٠ ص ٤٢٩ .
(١٧) السكرية فصل ١ ص ١٦ .
(١٨) السكرية فصل ٣٧ ص ٢٦٦ .
(١٩) السكرية ص ٣٠٣ .

فندق نيو پالاس
ادارة : فتحي نوفل
وسط راقٍ
خدمة ممتازة
مياه ساخنة
تليفونات بالغرف
جناح خاص للعائلات
أسعار معتدلة
مصعدان حديثان
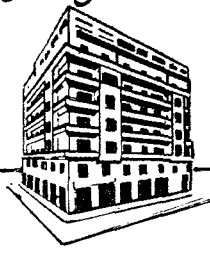
ت : ٤٥٩٣٦
س ت : ٧٩٧٩١
١٧ شارع سليمان الحلبي (دوبريه سابقا) القاهرة
خلف سينما الوكس بصلاح الدين
New Palace Hotel 17 Sh. Soliman el Halaby Telephone 45936 - Cairo

تتمة كمال عبد الجواد

التي عاشها اللامنتمون الاحياء، فطبيعة هؤلاء وأولئك هي الحيرة الدائمة. وقد اهتدى بعض المفكرين ممن ينتمون الى مذهب يبدأ في أساسه بنفس القاعدة التي يهتدي اليها اللامنتمي ـ وهي أنه ليس هناك ما يبرر هذا الوجود ولا غاية من ورائه ، وهذا أبسط صورة لاساس مذهب الوجودية ـ اهتدوا الى مخرج من هذه التفاهة الوجودية بما سموه الالتزام بقضية الحرية . فلكي يضفي المرء على ذاته وحياته صفة الوجود الانساني الحق ، عليه أن يدرك أنه حر في الاختيار غير مقيد ، وعليه ان يلتزم بهذه الحرية وبحمايتها عند نفسه وعند الاخرين . ومعنى ذلك ألا يرتبط المرء بعقائد او افكار تفرض عليه أو ينشأ عليها ، بل يجب ان يحرر نفسه من كل قيد ، ويؤمن بما يعتقد فيه اعتقادا قائما على التجربة والايمان الداخلي. ونجد كمال في اخر « السكرية » ينزع الى مثل هذه الحالة من طلب الايمان القائم على الاختيار الواعي ، فهو يكرر ما قاله أحمد ابن اخته في هذا الشأن : « اني أؤمن بالحياة والناس، هكذا قال ، وأرى نفسي ملزما باتباع مثلهم العليا ما دمت أعتقد أنها الحق » اذ النكوص عن ذلك جبن وهروب، كما أرى نفسي ملزما بالثورة على مثلهم ما اعتقدت أنها باطل اذ النكوص عن ذلك خيانة ! » (٢٠) .

ويبزغ عليه هذا التبيان كالفجر بعد الليل الطويل ، ويمكن ان نستدل من ذلك على ان كمال قد وجد ان هذه السلبية التي انتهى اليها لا يمكن بحال ان تكون حلا لحياته ووجوده ، انما الحل في النزول الى الحياة واختيار الصالح منها والثورة على ما لا يتفق ونفسه ، فان أهم ما في حياة الانسان هو حريته في التعبير عما يدور في نفسه ، سواء كان هذا التعبير متفقا مع رأي المجموع أو مختلفا ومعارضا له . ان هذه السطور القليلة في اخر « السكرية » توضح التحول الذي كان ممكنا ان يظهر في كمال عبد الجواد لو صوره لنا المؤلف بعد هذه الحوادث، ذلك التحول الذي يأتي كالفجر الجديد ، كما حدث « لميرسو » في غريب « البير كامي » حين ثار في نهاية حياته وتبين ان معنى الحياة لا يكمن في السلبية وعدم الاكتراث ، بل هو في التعبير عن النفس سواء كان بالاتفاق مع المجتمع او بالثورة عليه وعلى نظمه ، مما يحقق للمرء الوجود الذاتي . وتذكرنا السطور السابقة من السكرية برواية جيمس جويس المسماة « صورة للفنان في شبابه » « A Portrait of an Artist as a Young Man » ، حين يتخبط « ستيفن ديدالوس » الفنان الشاب باحثا عن معنى لحياته بعد ان ثار على الدين ورفض ان يرتبط به في حياته وعمله ، ثم ينبثق هدفه اخيرا بعد تجاربه التي مر بها ، ويعبر عنه بقوله :

« لن أخدم ما لم أعد أؤمن به ، سواء كان ذلك : المنزل أو الوطن أو الدين ، وسأحاول ان أعبّر عن نفسي في الحياة أو في الفن على أكمل الصور الممكنة وأصدقها ، مدافعا عن نفسي بتلك الاسلحة التي لا اسمح لنفسي باستخدام غيرها : الصمت ، النفي ، المهارة » (٢١) .

وقد رسم جويس في روايته هذه صورة لصراع الفنان ، ووقف في نهايتها على اكتشافه للطريقة المثلى لتحقيق وجوده الانساني ، ثم قدم لنا بعد ذلك هذا الفنان في ممارسته الفعلية التطبيقية لهذه الافكار التي انتهى اليها ، فنراه وقد نفى نفسه الى باريس ، في الرواية الطويلة المعقدة « يوليسيس » Ulysses . وكذلك قدم لنا نجيب محفوظ في الثلاثية تطورا لحياة كمال عبد الجواد من تجاربه التي رمت به الى اللامنتمية حتى هذه النهاية الغامضة التي انتهى اليها في « السكرية » ، وبقي عليه ان يتبع الثلاثية بأخت رابعة يقدم لنا فيها كمال في مرحلة الصراع من اجل التعبير عما توصل اليه ، ومن اجل تطبيق أفكاره النظرية التي انتهى اليها على حياته العملية ، فهل يفعل يا ترى ؟

وزارة التعليم العالي ، القاهرة — ماهر حسن البطوطي

(٢٠) السكرية فصل ٥٤ ص ٣٩٥ .

(٢١) « صورة للفنان في شبابه » لجيمس جويس ، ص ٢٥١ طبعة جوناثان كيب .

مجموعة ديوان العرب

مجموعة ديوان العرب

تصدر باشراف لجنة من المحققين

* * *

صدر منها :	ق . ل
١ ـ ديوان المتنبي	١٠٠٠
٢ ـ « ابن الفارض	٥٠٠
٣ ـ « عبيد بن الابرص	٤٠٠
٤ ـ « امرىء القيس	٤٠٠
٥ ـ « عنترة	٥٠٠
٦ ـ « عبيد الله بن قيس الرقيات	٦٠٠
٧ ـ « ابن فراس	٧٠٠
٨ ـ « عامر بن الطفيل	٣٥٠
٩ ـ « الخنساء	٣٥٠
١٠ ـ « زهير بن أبي سلمى	٣٠٠
١١ ـ « النابغة الذبياني	٣٥٠
١٢ ـ « ابن زيدون	٦٠٠
١٣ ـ « ابن حمديس	١٥٠٠
١٤ ـ « جرير	١٠٠٠
١٥ ـ شرح المعلقات السبع للزوزني	٣٠٠
١٦ ـ سقط الزند لابي العلاء المعري	٦٠٠
١٧ ـ اللزوميات لابي العلاء المعري جزآن	٢٥٠٠
١٨ ـ ديوان الفرزدق جزآن	١٧٥٠
١٩ ـ « الاعشى	٥٠٠
٢٠ ـ « أوس بن حجر	٥٠٠
٢١ ـ « جميل بثينة	٣٥٠
٢٢ ـ « الشريف الرضي جزآن	٣٠٠٠
٢٣ ـ « طرفة بن العبد	٢٥٠
٢٤ ـ « عمر بن أبي ربيعة	٨٠٠
٢٥ ـ « حسان بن ثابت الانصاري	٥٠٠
٢٦ ـ « ابن المعتز	١٠٠٠
٢٧ ـ « ابن خفاجة	٦٠٠
٢٨ ـ « البحتري جزآن	٢٠٠٠
٢٩ ـ « ترجمان الاشواق لابن العربي	٥٠٠
٣٠ ـ « صفي الدين الحلي	١٧٥٠
٣١ ـ « ابي نواس	١٥٠٠
٣٢ ـ « حاتم الطائي	٢٥٠

الناشر : دار بيروت ـ دار صادر